

## الشكر

لقد أنعم الله (عز وجل) على الإنسان بنعم كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، قال سبحانه: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١٨] ، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً} [لقمان: ٢٠] ، هذه النعم قد يرى الإنسان بعضها رأي العين، ويخفى عليه الكثير منها، وكلُّ نعمة من هذه النعم تقتضي أن يفكر فيها الإنسان، حتى يدرك أسرارها وقيمتها وأهميتها، ويتدبر عظيم نعم الله عز وجل عليه ، فيستخدم آلاء الله فيما يحبُّ الله ويرضَى، ويجعلها عوناً على إقامة الدين في نفسه، ويؤدّي بها الواجبات المفروضة عليه، وليحذر أن يستخدمها فيما يُبغضُ الله .

وفضيلة الشكر من أسمى الفضائل وأعظمها قدرًا لأنها تقرب العبد من مولاه، وتجعله موضع حبه ورضاه، حيث أخبر الحق سبحانه في كتابه أن رضاه في شكره وأن سخطه في كفران نعمته، فقال: {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الزمر: ٧].

والشكر: دليلٌ على صفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، وكمال العقل، وهو - في حد ذاته - نعمة من الله تستحق الشكر عليها؛ فنشكر الله - تعالى - أن ألهمنا شكره، ومن هنا يتوالى الشكر ولا ينقطع.

ولقد غني القرآن الكريم بالحديث عن الشكر عناية واضحة فذكره في مواطن كثيرة من آياته، وطلب من عباده أن يتحلوا به ويحرصوا عليه، لما له من أهمية كبرى ومنزلة عظيمة، فهو قيد للنعم الحاضرة، ومجلبة للنعم المفقودة، قال تعالى: {فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، قرنه بالذكر وأمر بهما معًا. وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [البقرة: ١٧٢]، {فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢]. وقال تعالى: {بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ

وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٦]، ولا يأمر الله عباده إلا بما يحقق لهم الخير والسعادة في الدارين، فالسعيد من امتثل أمر ربه فأطاعه فكان من الشاكرين.

**وحقيقة الشكر:** مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، فيثني على المنعم بلسانه ويبدل الجهد في طاعته، ويجتنب معاصيه في السر والعلن، فالمؤمن الحق هو الذي يقر بأن ما به من نعم وفضل مرده إلى الله وحده، قال تعالى: {وَمَا يَكُم مِّن نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]، فهو في كل طرفة عين، ونبضة قلب، يشكر الله تعالى على نعمه المتجددة بتجدد الليل والنهار، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا} [الفرقان: ٦٢]. فحقيقة الشكر: أن تكون حركات العبد وسكناته وخواطره ومشاعره وما يتمتع به من نعم موجهة للخير وفي سبيل الله ومن أجل مرضاة الله.

**ومن تمام شكر الله تعالى:** أن يستعمل الإنسان نعم الله عز وجل فيما خلقت له، وأن يضعها في المواضع التي ترضيه، فالعين نعمة: وشكرها أن يستعملها في النظر إلى ما أحله الله، لا إلى ما حرمه الله، واليد نعمة: وشكرها أن يعمل بها في الطاعة لا في المعصية، في الخير لا في الشر، والأذن نعمة: وشكرها أن يستمع بها إلى ما يعود عليه بالثواب من الله (عز وجل)، والعقل نعمة: وشكرها أن يفكر بها التفكير السليم الذي يعود عليه وعلى المجتمع كله بالخير والرخاء، وكذلك المال نعمة: وشكرها أن يوجه للخير، وأن يساعد به المحتاجين، ويمسح به دموع المنكوبين، وينفقه في مصالح العباد والبلاد، وغير ذلك من نعمة الصحة والشباب والجاه والسلطان، فكلها نعم سامية يجب أن يشكر الإنسان عليها ربه عز وجل بتسخيرها للخير ونفع العباد، وبالوقوف عند حدود الله تعالى. وكذلك كل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يستعملها في طاعة الله سبحانه، يقول عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل: ٧٨].

**فضل الشكر:** ويكفي في بيان فضل الشكر وعظيم منزلته أن الله تعالى وصف به نفسه فقال: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى: ٢٣]، وقال: {وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} [التغابن: ١٧]، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٧]. وليس معنى أن الله شاكر أن هناك من أسدى لله معروفًا هو سبحانه محتاج إليه، فالله لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين، لكن الشكر من الله

معناه: المغفرة والإنعام على عباده، وإثابتهم على ما قاموا به من العبادة والطاعة، وما قدموه للعباد من معروف، بل إن ربنا سبحانه يشكر كل من أسدى معروفًا للحياة سواء أداه لإنسان أو حيوان، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرًا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملا خفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: في كل كبد رطبة أجر (رواه البخاري)، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخذه فشكر الله له فغفر له (رواه البخاري)، فشكر الله للعبد بمغفرته سبحانه للذنوب ومجازاته العبد بالأجر والثواب.

وكذلك وصف الله تعالى به أنبياءه ورسله، فكان الشكر خلقًا لازمًا لأنبياء الله (عليهم السلام)، وفي هذا حث للأمة أن تقتدي بهم، فأول أنبياء الله نوح (عليه السلام)، وصفه ربه بقوله: {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} [الإسراء: ٣]، و خليل الله إبراهيم (عليه السلام) قال فيه ربه: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النحل: ١٢٠-١٢١].

وها هو نبي الله داود (عليه السلام) يناجي ربه ويسأله كيف يؤدي شكره، فقال: (يا رب، كيف أطيق شكرك وأنت الذي تُنعم عليّ، ثم ترزقني على النعمة الشكر، ثم تريدني في نعمة بعد نعمة، فالتعنة منك يا رب، والشكر منك، وكيف أطيق شكرك؟، قال: الآن عرفتني يا داود حق معرفتي) (رواه البيهقي).

وينظر سليمان (عليه السلام) فيما خصه به ربه من نعم، وما سخر له من مخلوقاته فلم يقابلها بالكبر والجحود، وإنما قابلها بالدعاء لمولاه أن يوفقه ويعينه على شكره، فقال تعالى على لسان سليمان: {رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} [النمل: ١٩]، وقال تعالى - على لسان سيدنا سليمان (عليه السلام) - أيضًا: {هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل: ٤٠].

أما نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيقوم لربه من الليل حتى تتفطر قدماه، وعندما سئل: لِمَ كلُّ ذلك يا رسول الله

وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ كان جوابه: (أفلا أكون عبداً شكوراً؟)، وقال ابن عُمَيْرٍ لأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) أَخْبَرِنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم)، قال: فَسَكَتَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: (يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمَّ يَزُلُّ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمَّ يَزُلُّ يَبْكِي حَتَّى بَلَ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمَّ يَزُلُّ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: "أَفَلَا أكونُ عبداً شكوراً" (رواه ابن حبان).

وقد علمنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كيف نُؤدِّي شكر الله تعالى على نعمه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ غَنَمٍ الْبِيَّاضِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحَدَّكَ لَا شَرِيكَ لَكَ فَلكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمَسِّي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ) (رواه أبو داود).

على أن شكر الله - تعالى - لا يكون باللسان فحسب، بل شكره باللسان، والقلب، والجوارح، والعمل، فشكر اللسان: يكون بذكر نعم الله - تعالى - وفضائله، وكثرة حمده عليها، قال تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} [الضحى: ١١]، والوفاء بحقها، يقول الحق سبحانه: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ: ١].

وشكر القلب: يكون باعتقاد العبد أنه مُنعمٌ عليه من الله (عز وجل)، فعَنْ أَبِي الْجَلْدِ، قَالَ: قَالَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: "إِلَهِي كَيْفَ أَشْكُرُكَ وَأَصْغُرُ نِعْمَةً وَصَعْتُهَا عِنْدِي مِنْ نِعْمِكَ لَا يُجَازِي بِهَا عَمَلِي كُلُّهُ"، قَالَ: فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ "يَا مُوسَى الْآنَ شَكَرْتَنِي" [الزهد لأحمد بن حنبل].

وشكر الجوارح: يكون بترك المعاصي والذنوب، قال مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ: كَانَ يُقَالُ: "الشُّكْرُ تَرْكُ الْمَعَاصِي".

## ثمرات الشكر

للشكر ثمرات كثيرة وعظيمة، منها:

١. أن الشكر يعود بالخير على الشاكر نفسه، قال سبحانه: {وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} [لقمان: ١٢].

٢. حفظ النعم من الزوال، فعن الحسن (رضي الله عنه) قال: "إن الله ليتمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر قلبها عليهم عذاباً"، وكان عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يقول: «قِيدُوا النَّعْمَ بِالشُّكْرِ». ولقد ضرب لنا الحق - سبحانه وتعالى - مثلاً بقريّة زالت نعمها؛ لعدم الشكر عليها، فقال سبحانه: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} \* وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ \* فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٢-١١٤].  
فالشكر سبب بقاء النعمة والحفاظ عليها.

٣. الزيادة في النعم، يقول تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]، وقال سيدنا علي (رضي الله عنه) لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: (إِنَّ الدُّعْمَةَ مُوصَلَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُعَلَّقٌ بِالمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، فَلَنْ يَنْقَطِعَ المَزِيدُ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ العَبْدِ).

**مجالات الشكر:** الشكر ليس قاصراً على شكر العبد لربه، فإذا كان أول من يشكر هو الله سبحانه؛ لأنه صاحب الفضل والمنة والنعمة، ولا منعم في الحقيقة سواه، فإن شكر الوالدين يأتي بعد شكر الله عز وجل، لما قدماه لأبنائهم من كل خير في الحياة، لذا قرن الله - تعالى - شكرهما بشكره وطاعتهما بطاعته في أكثر من موطن في كتابه الكريم، يقول تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ المَصِيرُ} [لقمان: ١٤]، وشكر الوالدين يكون بالطاعة والإحسان إليهما وتوقيرهما وعدم إيذائهما ولو بأقل الألفاظ، وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء: ٢٣].

ومن كمال الشكر: الشكر لكل من أسدى إلينا معروفاً، فهو من باب شكر الله تعالى، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) (أخرجه أبو داود)، والحق سبحانه وتعالى يقول: {هَلْ جَزَاءُ

الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠]. ولقد وصانا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بذلك حيث قال: (مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ) (رواه أبو داود).  
ولله درُّ القائل:

ومن يسد معروفًا إليك فكن له \*\* شكورًا يكن معروفه غير ضائع

ولا تبخلن بالشكر والقرض فأجزه \*\* تكن خير مصنوع إليه وصانع.

فمن داوم على شكر الله (عز وجل) كان له مثل أجر الصائم الصابر، كما أخبرنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومعلوم أن أجرهما لا يعلمه إلا الله، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أَنَّهُ قَالَ: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ) (رواه البيهقي في السنن)، وصدق الله العظيم حيث قال: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٤].